رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1235) سنة 2009م

ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

(سورة النساء: الآية ٨٢)

وَلَوْ ذَهَبْتُ أَذْكُرُ الْمَقَالَاتِ وَأَسْتَقْصِيهَا،

وَأُنسِبُهَا إِلَى قَائِلِيهَا وَأَعْزِيهَا، لَخِفْتُ

خَصْلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: خَصْلَةٌ أُحَاذِرُهَا

فِي مُصَنَّفَاتِي وَأَتَّقِيهَا، وَتَعَافُهَا نَفْسِي الْأَبِيَّةُ

وَتَجْتَوِيهَا، وَهِيَ سَرْدُ فَصْلٍ مَنْقُولٍ، عَنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ

مَقُولٌ. وَهَذَا عِنْدِي يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الِاخْتِزَالِ وَالِانْتِحَالِ،

وَالتَّشْيِيعِ بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَالْإِغَارَةِ عَلَى مُصَنَّفَاتِ الْأَفَاضِلِ،

وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ تَتَقَاضَاهُ قَرِيحَتُهُ تَأْلِيفًا، وَجَمْعًا،

وَتَرْصِيفًا، أَنْ يَجْعَلَ مَضْمُونَ كِتَابِهِ أَمْرًا لَا يُلْفَى فِي مَجْمُوعٍ،

وَغَرَضًا لَا يُصَادَفُ فِي تَصْنِيفٍ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ

ذِكْرِهَا أَتَى بِهِ فِي مَعْرِضِ التَّذَرُّعِ وَالتَّطَلُّعِ إِلَى مَا هُوَ

الْمَقْصُودُ وَالْمَعْمُودُ، . . .

الإمام الجويني رحمه الله

(غياثُ الأُمم:١٦٤)

تصدر عن كلية العلوم الإسلامية جامعة الأنبار

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1235) سنة (2009)

ISSN (Print): 2071-6028

ISSN (Online): 2706-8722

موقع المجلة الإلكتروني:

www.jauis.uoanbar.edu.iq

المراسلات:

isscoll@uoanbar.edu.iq

عنوان المجلة:

جمهورية العراق/ محافظة الأنبار/ الرمادي

جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية/ مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية

مَجلَّة جَامعَة الأَنْبَار
للعُلُوْم الإسْلَاميَّة في سطور

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، مجلةٌ علميَّةٌ فصليَّةٌ مُحكَّمةٌ، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الأنبار، بأربعة أعداد في السَّنةِ، تُعنَى بنَشْر البحوث في العلوم الإسلامية باللّغةِ العربيةِ.

أُسست المجلة سنة (2009)م، ورقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (1235) لسنة (2009)م، وحصلت على التصنيف المعياري الدولي المرقم:
ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

تهدف المجلة إلى نشرِ العلوم الإسلامية بما يُسهم في الرُّقي بالمستوى العلمي للتخصصات الشرعية، وذلك عن طريق نشر البحوث العلمية الأصيلة والمتميزة في العلوم الإسلامية بجميع فروعها، لا سيما البحوث التي تعالج المشاكل، وتضع الحلول لمستجدات العصر، كل ذلك وفق رؤية إسلامية نقية.

استقطبت المجلة الباحثين من العراق وخارجه، وهي مستمرة بإصداراتها التي ترفد الباحثين والمؤسسات بالدراسات والبحوث التي تُعدُّ لَبِنَةً مهمة في المكتبة الإسلامية، وهي متوفرة على موقع المجلة، وموقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية.

هيئة التحرير

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
فراس يحيى عبد الجليل

مدير التحرير
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد محسن راضي

أعضاء هيئة التحرير

١. أ.د. عبد الرحمن حمدي شافي
٢. أ.د. أحمد عبد الرزاق خلف
٣. أ.د. صهيب عباس عودة
٤. أ.د. عبدالفتاح محمد خضر
٥. أ.د. محمد عمر سماعي
٦. أ.د. محمد عبدالحميد الخطيب
٧. أ.م.د. حازم عبد الوهاب عارف
٨. أ.م.د. خليل نوري مسيهر

شُرُوْطُ النَّشْرِ العِلْمِيَّة

لابُدَّ في البحوث المُقدَّمة للنشر من تحقق الشروط العلمية الآتية:

١. أن يكون البحث باللُّغة العربية حصراً.
٢. أن لا يكون البحث قد نُشِرَ، أو قُبِلَ للنشرِ في مجلةٍ أُخرى.
٣. يُشترط في البحث أن يكون في أحد تخصصات العلوم الإسلامية.
٤. لا تقبل بحوث تحقيق المخطوطات، إلا إذا اعتمدت على نسختين اثنتين، ولا يُقبل التحقيق على نسخة واحدة إلا بتحقق ضوابط معينة.
٥. لا تقبل البحوث ذات الطابع التعريفي أو الترويجي لمنظمات أو هيئات أو جهات معينة.
٦. تخضع البحوث للفحص ببرنامج **(Turnitin)** على أن لا تزيد نسبة الاستلال في البحث عن: **(20%)**، ونسبة الاقتباس عن: **(30%)**، وفق التعليمات النافذة.
٧. تخضع البحوث إلى فحص أوليّ من قِبَل هيئة التحرير، ويحقُّ لها أن تعتذر عن قبول البحث من دون بيان الأسباب، على أن لا تتجاوز مدة نظر الهيئة أسبوعاً، علماً أنَّ موافقة الهيئة لا تعني بالضرورة قبول البحث للنشر، إنَّما تعني صلاحية عرضه على المحكمين.
٨. يخضع البحث للتقويم من قِبَل خبيرين اثنين في التخصص العلمي الدقيق لموضوع البحث، وفي حال اختلافهما في التقييم يُرسل البحث إلى مُحَكِّم ثالث، فضلاً عن تقويم البحث من قِبَل خبيرٍ لُغَوِيّ، في مدة لا تتجاوز: شهرين.
٩. تُرسل ملاحظات المُحَكِّمين إلى الباحث، ولا يُنشر البحث إلا بعد الأخذ بها.
١٠. على الباحثِ إرسال نسخة جديدة من البحثِ بعد التقييم والأخذ بالملاحظات.

١١. يُطالب الباحث بملخص للبحث لا يزيد عن **(200)** كلمة، وكلمات مفتاحية لا تزيد عن **(3)** كلمات، وباللُّغتين العربية والإنجليزية، على أن يكون الملخص الإنكليزي مصادقاً عليه من المكتب الاستشاري بجامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية.

١٢. يتضمَّن الملخص الإنكليزي عنوان البحث واسم الباحث باللَّغة الإنكليزية.

١٣. يُطالب الباحث بإرفاق سيرة ذاتية مُوجزة عنه.

١٤. يُقدم الباحث إقراراً خطيَّاً يتعهد فيه بأنَّ البحث المُقدَّم للنشر هو جهدٌ خالص له، ويتحمل المسؤولية القانونية كاملة في حال الاعتداء على الحقوق الفكرية للآخرين.

١٥. البحوث المنشورة لا تمثل رأي المجلة، وإنَّما تمثل رأي أصحابها فقط.

١٦. المجلة غير ملزمة بإعادة مسودات البحوث، سواء نُشِرَ البحث أم لم يُنْشر.

شُرُوْطُ النَّشْرِ الفَنِّيَّة

يُراعى في البحوث المُقدمة للنَّشْر الشروط الفَنِّية الآتية:

١. يكون التخاطب مع المجلة، وإرسال البحوث إلكترونياً، عن طريق بريد المجلة الإلكتروني: **isscoll@uoanbar.edu.iq**

٢. يُطبع البحث ببرنامج الوُرد **(Word)** على الحاسوب، وبمسافات منفردة.

٣. يكون إعداد الصفحة على النحو الآتي: أعلى وأسفل **(٢سم)**، يميناً ويساراً **(٢سم)** أيضاً، وحجم الورقة: **(B5)**، مع مراعاة ترقيم الصفحات.

٤. تكون الكتابة بخط: **(Simplified Arabic)**، للمتن والهامش، وباللون الأسود.

٥. يكون تسلسل صفحات كتابة البحث على النحو الآتي: الصفحة الأولى: عنوان البحث الرئيس، أسماء الباحثين وعنواناتهم وإيميلاتهم، بعد ذلك ملخص البحث باللغتين العربية والإنكليزية مع الكلمات المفتاحية، ثُمَّ المقدمة، ثُمَّ المباحث أو المطالب، ثُمَّ الخاتمة، واخيراً قائمة المصادر والمراجع.

٦. يُكتب على الصفحة الأولى فقط من البحث عبارة: (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية) أعلى يمين الصفحة، ويكون تحتها خط بحجم: **(١٢)** أسود **غامق (Bold)** من يمين الصفحة إلى يسارها.

٧. يكون عنوان البحث الرئيس بالحجم **(١٨) أسود غامق** وسط الصفحة الأولى.

٨. تُكتب أسماء الباحثين وعنواناتهم، بالحجم **(١٦) أسود غامق (Bold)** وسط الصفحة الأولى، أسفل عنوان البحث.

٩. تُترك مسافة بين عنوان البحث واسم الباحث.
١٠. يُكتب إيميل الباحث تحت اسمه مباشرة، مع مراعاة الدقة في ذلك.
١١. تُكتب العنوانات الأولية: (المقدمة، المباحث أو المطالب، الخاتمة، الهوامش، المصادر) بالحجم (١٦) **أسود غامق (Bold)** وسط الصفحة.
١٢. تُكتب العنوانات الثانوية بالحجم (١٤) **أسود غامق (Bold)** يمين الصفحة.
١٣. يُكتب متن البحث بالحجم (١٤)، مع ضبط الصفحة، وتُترك مسافة بادئة قدرها (١سم) للسطر الأول فقط لكل فقرة من المتن.
١٤. تُكتب هوامش البحث بالحجم (١٢)، وتكون في الصفحة نفسها **(حواشي سفلية)** أسفل متن البحث، على أن يكون رقم الهامش بين قوسين هكذا: (١)، مع خيار الترقيم لكل صفحة على حدة.
١٥. يُشترط كتابة النصوص القرآنية بالرسم العثماني، ببرنامج: **(مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي)**.
١٦. يكون ترتيب المصادر بحسب الحروف العربية هجائياً: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، ....)، مرقمة ترقيماً تلقائياً باستخدام التنسيق الذي يكون فيه الرقم مع نقطة فقط، هكذا (١.).
١٧. المجلة غير ملزمة بقبول البحوث التي يتجاوز عدد صفحاتها عن (٣٠) صفحة، سوى صفحات: العنوان والملخص والمصادر.

أُجـوْر النَّشْـر

أجور النَّشْر في المجلة على النحو الآتي:

١. يُسْتوفى من الباحثين داخل العراق مبلغاً قدرهُ: مائة وخمسة وعشرون ألف **(125000)** دينارٍ عراقي، عن الـ**(٢٥)** صفحة الأولى من البحث، فإن زاد على ذلك يُضاف مبلغ قدرهُ: ألفان وخمسمائة **(2500)** دينارٍ عراقي عن كلِّ صفحةٍ.

٢. يُسْتوفى من الباحثين خارج العراق مبلغاً قدرهُ: مائة وخمسة وعشرون دولار، **(125 $)**، عن الـ**(٢٥)** صفحة الأولى من البحث، فإن زاد على ذلك يُضاف مبلغ قدرهُ: ثلاثة دولارات **(3 $)** عن كلِّ صفحةٍ.

٣. يُبلَّغ الباحث بالكلفة النهائية لأجور النَّشر لتسديدها، ويتحمل أجور التحويل كافة.

٤. إذا سحب الباحث بحثه بعد إرساله إلى الخبراء، يُعاد المبلغ الذي تم تسلّمهُ من الباحثِ مخصوماً منهُ أجور الخبراء فقط.

٥. لا يُزود الباحث بكتاب قبول النَّشْر، ولا يُنشر بحثه إلّا بعد دفع الأجور كاملة.

٦. ينشر البحث بعد استكمال الشروط العلمية والفنية خلال مدة تتراوح من ثلاثة إلى تسعة (٣-٩) أشهر من تاريخ صدور كتاب قبول النشر، وبحسب ظروف النشر.

٧. يُزَود الباحث بنسخة (مستلة) إلكترونية من بحثه، ترسل عن طريق الإيميل، ويمكن تنزيلها من موقع المجلة أيضاً.

المحتويات

ت	البحث	الباحث	بحث في	الجزء	الصفحة
١	التّذييل بأسماء الله تعالى وصفاته مناسباته ودلالته سورة الأنفال أنموذجًا	أ.د. إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الزهراني	تفسير	الأول	٤٢-١
٢	توجيه المتشابه اللفظي في تفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل سورة إبراهيم أنموذجاً «دراسة مقارنة»	السيد ليث باسل صادق أ.د. فراس يحيى عبدالجليل	تفسير	الأول	٨٤-٤٣
٣	مرويات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في سورة طه جمعا ودراسة	السيدة مأرب مصدق رزيك أ. م. د. زين عجيمي إبراهيم	تفسير	الأول	١٣٢-٨٥
٤	أوجه التشابه بين قصتي يوسف وموسى عليهما السلام ـدراسة موضوعية مقارنة	م.د. أحمد مخلف عبد	تفسير	الأول	١٧٨-١٣٣
٥	حكم زيادة الثقة عند الشيخ أحمد شاكر في كتاب الباعث الحثيث «دراسة حديثة مقارنة»	السيد علي محمد سليمان أ.د. إدريس عسكر حسن	حديث	الأول	٢١٨-١٧٩
٦	نماذج من الرواة الذين قال فيهم يحيى بن معين لفظة (شيخ) في تاريخه برواية الدارمي «دراسة حديثية مقارنة»	السيدة كوثر عبد الستار أ.م.د. ثامر عبد الله داود	حديث	الأول	٢٥٠-٢١٩
٧	مرويات عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية في كتاب الشهادات في الكتب التسعة «دراسة تحليلية»	السيدة سجى علي خلف أ.م.د. حازم عبد الوهاب عارف	حديث	الأول	٢٨٤-٢٥١
٨	الاستدلالات الأصولية بآية ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دراسة تأصيلية	الأستاذ المساعد الدكتور جعفر بن عبد الرحمن بن جميل قصاص	أصول فقه	الأول	٣١٤-٢٨٥
٩	كتاب أدب القاضي من كتاب الرعاية في تجريد مسائل الهداية تأليف العلامة أبي المليح شمس الدين محمد بن فخر الدين عثمان بن موسى بن علي بن الأقرب الحنفي الحلبي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق (من أول كتاب أدب القاضي إلى آخر فصلٌ في القضاء بالإرث)	السيد أحمد خميس حماد أ.د. مجيد صالح ابراهيم	فقه	الأول	٣٦٠-٣١٥
١٠	شرط الفقر في الوصية الواجبة «دراسة مقارنة»	أ.م.د مقبل أحمد أحمد أ.م د. عبد الله علي محسن	فقه	الأول	٤١٦-٣٦١

ت	البحث	الباحث	بحث في	الجزء	الصفحة
١١	اختيارات زين الدين المنجا بن عثمان التنوخي (ت:٦٩٥هـ) في كتابه الممتع في شرح المقنع في مسائل متعلقة بالمفوضة دراسة فقهية مقارنة	السيد إبراهيم مرعي شهاب أ.م.د. عبدالله داود خلف	فقه	الأول	٤١٧-٤٥٠
١٢	كتاب هدية الناصح وحزب الفلاح الناجح في معرفة الطريق الواضح لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الزاهد (ت٨١٩هـ) من جملة شروط وجوب الصلاة إلى نهاية جملة الأركان «دراسة وتحقيق»	السيد بشير فوزي حمدان أ.م.د. نعمان سرحان عطية	فقه	الأول	٤٥١-٤٨٤
١٣	ترجيحات الإمام البيهقي في كتابه «الخلافيات» باب في الجناية متعلقة بالقَسامة وكفارة القتل والسحر «دراسة فقهية مقارنة»	السيد قيس فيصل إبراهيم أ.م. د. عمر نوري نصار	فقه	الأول	٤٨٥-٥١٨
١٤	ترجيحات البيهقي في كتابه الخلافيات (في باب صلاة الكسوف والخسوف) «دراسة فقهية مقارنة»	السيدة نجلة جمال عبد المجيد أ.م.د. فائز محمد جمعة	فقه	الثاني	٥١٩-٥٥٠
١٥	كتاب الطهارة من كتاب الرِّعايةِ في تجريدِ مسائلِ الهدايةِ تأليف العلامة أبي المليح شمس الدين محمد بن فخر الدين عثمان بن موسى بن علي بن الاقرب الحنفي الحلبي (ت٧٧٤هـ)من أول كتاب الطهارة الى آخر فصل الآبار دراسة وتحقيق	السيد نصيف جاسم محمد أ.م.د محمود شمس الدين عبد الأمير	فقه	الثاني	٥٥١-٦٠٨
١٦	ترجيحات البيهقي في كتابه الخلافيات في باب ما يصح به النكاح دراسة فقهية مقارنة	السيد عبدالله محمد سعود أ.م.د. محمد فاضل إبراهيم	فقه	الثاني	٦٠٩-٦٥٤
١٧	ترجيحات البيهقي في كتابه الخلافيات في معنى الإقراء ومدته للمرأة التي تباعد حيضها دراسة فقهية مقارنة	السيدة عذراء حميد فريح أ.م.د أيمن عبد القادر عبدالحليم	فقه	الثاني	٦٥٥-٦٩٠
١٨	النبوات والسمعيات عند نعمان خير الدين الآلوسي (عرض ونقد) الروح أنموذجاً	السيدة أسماء محمد حسن أ.م.د هادي عبيد حسن	عقيدة	الثاني	٦٩١-٧٣٠
١٩	البعد التعبدي في التشريع الإسلامي وأثره في ضمان الحقوق وأداء الواجبات	أ.م.د. صايل أحمد أمارة	فكر	الثاني	٧٣١-٧٧٢
٢٠	آراء معروف الرصافي الدينية حول القرآن الكريم في كتابه «الشخصية المحمدية»، دراسة فكرية نقدية	السيدة ندى عايد سعد أ.م.د. نزار عامر حسين	فكر	الثاني	٧٧٣-٨٠٠

العدد ٤٨
السنة ١٢ - المجلد ١٢
ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

توجيه المتشابه اللفظي في تفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل سورة إبراهيم أنموذجا دراسة مقارنة

السيد
ليث باسل صادق

جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
laathaa1990@gmail.com

الأستاذ الدكتور
فراس يحيى عبد الجليل

جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
isl.firasy@uoanbar.edu.iq

مجلة بحوث في التفسير
البحث رقم ٢

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ملخص باللغة العربية

السيد ليث باسل صادق
أ.د. فراس يحيى عبد الجليل

يهدف هذا البحث إلى بيان توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ) في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل في سورة إبراهيم التي تناولنا فيها مسألة حذف وإثبات الحروف، والتكرار، والتقديم والتأخير، إذ تم جمع الشواهد القرآنية التي وجهها المفسر الإمام ابن جزي، ومقارنتها مع أقوال المفسرين، وكان منهج الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي الذي نحاول فيها الوقوف على ما امتازت به طريقة عرض هذه الآيات للمتشابهة اللفظي.

الكلمات المفتاحية: المتشابه اللفظي، ابن جزي الكلبي، سورة إبراهيم.

DIRECTING IBN JAZI AL-KALBI AL-GHARNATI FOR VERBAL SIMILARITY IN HIS INTERPRETATION TO FACILITATE THE SCIENCES OF DOWNLOAD SURAT AL-FATIHAH AS AN EXAMPLE

Mr. Laith Basil Sadiq Abdul
Prof. Dr. Firas Yehia Abdul Jalil

Summary

This research aims to explain the verbal similarity in the Noble Qur'an according to Imam Ibn Jazzi al-Kalbi al-Gharnati (d.741 AH) in his interpretation of facilitating the science of revelation in Surat Ibrahim، in which we dealt with the issue of deleting and confirming letters، repetition، introduction and delay as Qur'an evidence directed by the exegete al-Imam was collected Ibn Jazzi، and comparing it with the sayings of the commentators، and the method of the study was the descriptive and analytical method، in which we try to identify the characteristics of the way these verses display the verbal similarity.

Key words: verbal similarity، Ibn Jazzi al-Kalbi، Surat Ibrahim.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه...

وبعد:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الفريدة التي لم يعرف لها مثيل، فلم يُقيد بما قيّد به غيره من المعجزات، فهو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحِكَمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ففي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول وفروع، قد تحدى المولى سبحانه وتعالى على لسان نبيه محمد النبي الأمي صلوات ربي وسلامه عليه العرب قاطبة بإعجازه، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، لقد بهر القرآن الكريم العقول بما يحويه من وجوه الإعجاز، ففيه الإعجاز العلمي الكوني، والإعجاز التشريعي الفريد، والإخبار عن الأمم السابقة، والإخبار عن الغيب في المستقبل، ومن ذلك أيضاً الإعجاز البياني البلاغي المتمثل في أسلوب القرآن ونظمه وتركيبه اللغوي، ومن ذلك الآيات المتشابهات التي لا فرق بينها إلا في حرف، أو كلمة، أو تقديم أو تأخير، وغير ذلك من الاختلافات التي تؤكد إعجازه، وعظم بلاغته، ومنتهى فصاحته، وان هذا البحث يبرز جهداً متميزاً في علم من علوم القرآن الكريم، ألا وهو توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، هذا العلم الذي غفل عنه الكثير، هو سر من أسرار إعجاز كلام رب العالمين الذي نزل على النبي الأمي الأمين ﷺ، فألف فيه علماء أجلاء مؤلفات لها أثرها ومكانتها العظيمة، في علوم القرآن وإبراز إعجازه وبلاغته، تلك المصنفات التي أصبحت علماً ونوراً تهدى به في فهم كتاب الله تعالى وتدبره، مما يظهر وجه الحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات القرآنية، وأهمية دراسة هذا

الموضوع، وخصصناه بدراسة المتشابه اللفظي في تفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي وأسميناه: **(توجيه المتشابه اللفظي في تفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل "دراسة مقارنة" سورة إبراهيم أنموذجًا).**

دوافع البحث وأهدافه: تتجسد أهم الأسباب المؤدية إلى اختيار هذا الموضوع فيما يأتي:

١- إبراز خفايا الأسرار المنطوية تحت الآيات المتشابهة المختلفة في القرآن الكريم التي تدل على بلوغه القمة في الإعجاز والبيان.

٢- إرادة تسهيل الوصول والفهم إلى أماكن التشابه والاختلاف بمختلف أنواعها، التي هي محط نظر حّفاظ كتاب الله والباحثين.

٣- إظهار منزلة كتاب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الغرناطي في توجيه المتشابه اللفظي، واهتمامه ببيان أسرار القرآن وخفايا إعجازه البيانية.

٤- مقارنة جهود المفسرين القدامى في توجيه الآيات المتشابهة في اللفظ، متمثلة في جهود ابن جزي الغرناطي في بيان ذلك في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل، وجهود المحدثين كذلك في توجيهها.

٥- رغبة المساهمة في خدمة هذا الكتاب العزيز وهذا العلم (علم الآيات المتشابهة في القرآن) الذي قلّ المشتغلون به والمهتّمون بالكتابة فيه، وهم قلة قليلة من العلماء القدامى، وبعض المفسرين في تفاسيرهم.

٦- إخراج الجهود الفكرية المختفية في كتب التفاسير، التي اهتّمت بهذا الجانب الذي يتعلق بجانب مهّم من جوانب علم الإعجاز القرآني، والبلاغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

٧- ويهدف البحث إلى توجيه ما التبس من فنون التعبير عن المعاني في هذه

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الآيات متشابهة الألفاظ، وما أشكل من اختلاف صور التراكيب في عرضها، ومن ثَمَّ الكشف عن تناسق الألفاظ وصور التعبير مع المضمنات.

٨- إلى آخر ما هنالك من الدوافع والأهداف التي قد لا تبدو جلياً إلا بعد قراءة هذا البحث لمن قرأه أو نظر فيه.

منهج البحث: المنهج المستعمل في الدراسة هو: المنهج الوصفي التحليلي، الذي نحاول فيها الوقوف على ما امتازت به طريقة عرض هذه الآيات المتشابهة اللفظ، وما اشتملت عليه من صور في التأليف البديع، وما بنيت عليه من دقائق النظم العجيب، وتحليل ذلك للكشف عن غاية التلاؤم والانسجام بين انتقاء الألفاظ ووجوه التعبير وبين المعاني المحمولة بها، وبما يقتضيه السياق والمقام، وقد اخترت سورة إبراهيم أنموذجًا.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم على تمهيد ومبحثين، تسبقهما مقدمة، وتعقبهما خاتمة. التمهيد في أهمية المتشابه اللفظي. والمبحث الأول: حياة ابن جزي الشخصية. أما المبحث الثاني: توجيه المتشابه اللفظي (سورة إبراهيم أنموذجًا). ثم الخاتمة أوجزنا فيها أهم ما انتهت إليه الدراسة من نتائج.

تمهيد:

لا شّك أن هذه الدراسة تنبع أهميتها من طبيعة موضوعها الذي يتعلق بجانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني، ومحاولة الكشف عن هذا الجانب، من خلال إجراء هذه الدراسة في تراث القدامى والمحدثين من المفسرين، وكونه كذلك في الآيات القرآنية المتشابهة التي عّرقت جبين حفاظ كتاب الله في تمييز أوجه التشابه والاختلاف بين آيتين متشابهين أو آيات متشابهة في سور مختلفة، وحّيرت عقول الباحثين في سّر إيرادها متباينة عن مثيلتها أو مثيلاتها، مما يدعو القارئ لهذه الآيات إلى الوقوف وقفة متدبر لأسرار كتاب الله، الذي أنزل للتدبر والتفكر في بيان معانيه، وتراوده بعض الأسئلة من مثل:

١- لماذا يقدم الله تعالى كلمةً في آية قرآنية ويؤّخرها في آية أخرى تشبهها؟

٢- لماذا يذكر الله تعالى كلمةً أو تركيب في آية قرآنية ويحذفها في آية أخرى تشبهها؟

٣- لماذا يذكر الله تعالى في القرآن كلمةً بلفظ المعرفة، ويذكرها مّرة أخرى بلفظ النكرة؟

٤- لماذا يذكر الله تعالى في القرآن كلمةً بلفظ التذكير، وفي آية أخرى بلفظ التأنيث؟

٥- لماذا يذكر الله تعالى في القرآن الكريم كلمةً بلفظ الجمع، وفي أخرى يذكرها بلفظ الإفراد؟

فمثل هذه الأسئلة يجد القارئ إجاباتها في ثنايا الكتب التي اهتّمت بتوجيه الآيات التي تتشابه لقّراء القرآن ويريدون معرفة أسرار تشابهها واختلافها، وهي كتب متنوعة في منهجها وأساليبها وسنرشد إليها في حديثنا عن هذا العلم الكبير الجليل.

ومن أهمية هذا البحث أيضا: انصباب هم الباحث في موضوع دراسته على

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

اختيار كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الغرناطي الذي لم يوفر له حقه من البحث والنظر واستخراج المتشابه اللفظي من الآيات القرآنية التي قام بتوجيهها في تفسيره ومقارنتها مع علماء ومفسري هذا العلم، وذلك لأن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، فدراسته تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغزارة معانيه وأسراره، والبحث عن دقائقه، وذلك من أعظم الْقَرب؛ لأنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب من الله تعالى.

المبحث الأول:

حياة ابن جزي الشخصية

المطلب الأول:

اسمه ونسبته وكنيته وشهرته

أ- اسمه: هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي، أبو القاسم الغرناطي(١)، كان يعرف بـ(محمد بن جزي)(٢)، وأما بيت ابن جزي فقد كان بيتًا كبيرًا مشهورًا بالمغرب والأندلس(٣).

ب- نسبته وكنيته وشهرته: وقد كان ابن جزي يعرف بـ«محمد الكلبي»، نسبة إلى قبيلته العربية اليمانية «بني كلاب»، إذ استوطن الكلبيون غرناطة وأثروا في المجتمع الغرناطي منذ أن بدأت غرناطة تزاحم باقي المدن الأندلسية(٤)، ويرجع أصل نسب ابن جزي إلى «وَلـمْةَ»(٥)، إحدى الحصون الواقعة في منطقة البشرات الجبلية، حيث نزل بها أولهم عند الفتح، وكانت لجدهم دجيان رئاسة وانفراد وتدبير(٦)، كان

---

(١) طبقات المفسرين: لشمس الدين محمد بن علي الداوودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت. ٨٥/٢.

(٢) قال مرتضى الزبيدي في تاج العروس، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ: ٢٨٥/١٩، جزي بالكسر كسُمَيَ وعلي، أسماء، فمن الأول: خزيمة بنِ جزي، (صحابي) ومن الثاني: ابنُ جزي البلنسي الذي اختصر رحلة ابن بطوطة.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد القمري (ت١٠٤١هـ) تحـ: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ: ١٤٢/١.

(٤) ابن جزي ومنهجه في التفسير: (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل)، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٤٨/١.

(٥) ينظر تعريفها في معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: زيد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت: ٤٤١/٥.

(٦) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) تحـ: محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ: ٢٠/٣.

يكنى بـ«أبي القاسم»، ويشاركه فيه جده محمد بن عبد الله بن يحيى واشتهر بـ«ابن جزي» بالتصغير، وهي تسمية معروفة عند العرب.

المطلب الثاني:

مولده ونشأته وفضله ومعتقده ومذهبه

أ- مولده ونشأته وفضله:

ولد ابن جزي في ربيع الثاني من سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م بغرناطة حاضرة مملكة الأندلس[١] وكانت هذه الفترة تعد من أزهى عصور مملكة غرناطة، حيث أحيا فيها الجهاد، ونصبت سوق الاستشهاد في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل، ثم ابنه أبي عبد الله محمد، ثم أخيه أبي الحجاج يوسف، ونشأ ابن جزي وتربى في حجر والده ورضع من معينه أول رضعات العلم والسماع[٢]، فقد كان بيته بيت حسب نبيل وفقه وعلم مشهود في الأندلس، الأمر الذي كان له أثره الواضح في تكوين شخصيته العلمية.

يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة والده: (كان من أهل الأصالة والذكاء، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده، وكان محمودا وله طلب وسماع)[٣]، فاجتهد ابن جزي في الأخذ من علماء بلده «غرناطة» التي كانت في تلك الفترة عامرة بالعلم والعلماء في شتى أنواع الفنون والمعارف، حتى برع في جميع العلوم، وألف في ذلك المؤلفات القيمة المختلفة، فأصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان[٤].

---

(١) نفح الطيب للمقري، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت: ٢٨٥/٨، وينظر: حول حياته واستشهاده: الإحاطة لابن الخطيب: ٢٣/٣.

(٢) ابن جزي ومنهجه في التفسير: (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل)، علي محمد الزبيري، ١٨٥/١.

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ٣٢٦/١.

(٤) الإحاطة لابن الخطيب: ٢٣/٣.

ب- معتقده:

إن سلامة المعتقد هي من أولى المهمات التي يسعى إليها كل مسلم، وهو مطالب بها، كيف لا، والله تعالى قد قضى وحكم أنه لا يقبل عملا إلا به، فالتمسك بعقيدة التوحيد والدفاع عنها هي سبيل النجاة لكل إنسان، وكان هذا النهج واضحا في منهج ابن جزي، فقد نهج منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقدية، والرد على من خالف عقيدة التوحيد من أهل الكتاب أو من الفرق المخالفة كالمرجئة والخوارج والمعتزلة وأهل الكلام والفلسفة.

ج- مذهبه:

يعد ابن جزي من أعيان الفقه المالكي ومن منظري هذا المذهب ومرجعًا من مراجعه، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك والاستدلال له وبذكر الخلاف الموجود فيه، وكتابه «قوانين الإحكام الشرعية» خير شاهد على ذلك، إذ إن مادته هي الفقه المقارن، وهو كتاب مشهور عند علماء المالكية، فقد قال في مقدمة الكتاب: (فهذا كتاب في الأحكام الشرعية ووسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي)[١]، إذ هو الذي اختاره أهل بلدنا بالأندلس وسائر بالمغرب[٢]، وقال في موضع آخر: (وإذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك)[٣]، ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ

(١) هو مالك بن أنس الأصبحي أبو عبيد الله، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، صاحب المذهب المشهور (ت١٧٩هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣١٤٥، وطبقات المفسرين للداودي: ص٤٩٦، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص:٢٣.

(٢) قوانين الأحكام الشرعية: ص:٢.

(٣) المصدر نفسه: ص:٣.

قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[١]، قال ابن جزي: (وقال مالك: فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها، فراقها أحب إلي ثم يكون خاطبا من الخطاب)[٢]، وعند مقارنة الأقوال بين المذاهب الفقهية الأخرى نجد أن ابن جزي يتطرق إلى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾[٣]، قال ابن جزي: (وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود)[٤].

ومع هذا فلم يكن ابن جزي متعصبًا لمذهب الإمام مالك، إذ قال بعد ذكره المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين: (فإن كل واحد منهم مجتهد في دين الله، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله)[٥]، ومما يدل على ذلك فعند تفسير قوله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٦]، قال ابن جزي: (استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد...)[٧].

المطلب الثالث:

نشأته ومكانته العلمية ووفاته

أ- نشأته ومكانته العلمية:

نشأ ابن جزي نشأة علمية كان لها أثرها في مستقبل حياته العلمية والعملية، فلما اشتد عوده تفرغ لتعليم كتاب الله وتجويده والقراءات لطلبة العلم، كما كان الطلبة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٦/١.

(٣) سورة العلق: الآية ١٩.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٠/٤.

(٥) قوانين الأحكام الشرعية: ص:٣.

(٦) سورة البينة: الآية ٥.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٥/٤.

يسمعون منه الحديث خاصة أمهات الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن والموطأ[١]، وكان المفسر الجليل أبو القاسم ابن جزي عالمًا فذًا، مشاركًا في فنون العربية، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، مستوعبًا لأقوال المفسرين، كما كان قائمًا على التدريس والخطابة بالمسجد الأعظم بغرناطة على حداثة سنه[٢].

ولقد كان على طريقة مثلى في العكوف على العلم والاقتصاد والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين[٣]، ولقد جمع من الوظائف بين التدريس والتأليف والإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم والإفتاء، وأما القضاء فقد اعتذر عن توليه تورعًا واحتياطًا، وكان في كل ذلك ذا شعر جيد، نظم في الزهد، والمديح النبوي، والفخر، وغيرها[٤].

ومن نماذج شعره في مدح النبي ﷺ قوله:

أروم امتداح المصطفى ويردني ** قصوري عن إدراك لكل المناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ** ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب[٥]

وقد تميز أسلوب ابن جزي البياني بمسحة الأدب والوضوح، إذ كان المؤلف نابغة في اللغة والبلاغة والأدب، وتجلت في تفسيره قوة تعبير وجمال التصوير وروعة العرض للمعاني، مما يجعل القارئ لا يمل وإن طال وامتد به الوقت [٦].

ب- وفاته:

بعد ثمان وأربعين سنة من العطاء العلمي الكبير الذي بث في صدور الرجال

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١٩٦/١.

(٢) طبقات المفسرين: ٨٥/٢، بتصرف

(٣) الإحاطة: ٢٠٢١/٣، بتصرف.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢٣/٣.

(٦) من مقدمة المحقق لكتاب "التسهيل" لابن جزي، محمد اليونيسي وإبراهيم عوض، نشر أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت: ص ب.

وبطون الكتب انقطع ذلك المعين النابض في ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى سنة٧٤١هـ / ١٣٤٠م، فقد قتل أبو القاسم ابن جزي شهيدا –نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا – في معركة «طريف»[١]، وهو يشحذ الناس ويحرضهم على القتال[٢]، إذ فقد جثمانه مع ما وقع من اضطراب عظيم في صفوف جيش المسلمين ومتطوعتهم، وكان ابن جزي يستشعر دنو أجله، ويطمع عند خروجه إلى القتال في نيل الشهادة، وقد أنشد في ذلك اليوم:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ** ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة ** تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجز لا يطهرها ** إلا الصوارم في أيمان كفار[٣]

وقد خلف ابن جزي وراءه في هذه الدنيا ثلاثة من الأولاد النجباء ممن تولى القضاء والكتابة، وهم: القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي(٧٨٥هـ)[٤]، والكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزي (٧٥٧هـ)[٥]، والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن جزي[٦].

---

(١) هي المعركة العظيمة التي دارت بين الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان المغربي أبي الحسن المريني والسلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف من جهة، والجيوش النصرانية الإسبانية بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر من جهة ثانية، وكانت هزيمة مزلزلة، رزئ بها المسلمون في الأندلس سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ينظر تفاصيلها في كتاب "العبر" لابن خلدون: ٣٤٦/٧ وهامش كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب: ١٨٠/٢.

(٢) ينظر: الإحاطة لابن الخطيب: ٢٣/٣.

(٣) ذكر هذه الأبيات التنبكتي في نيل الابتهاج: ص٣٩٨-٣٩٩.

(٤) ينظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر: ٢٥٣/١، والإحاطة لابن الخطيب، ١٥٧/١، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة: ٢/ ٧٢.

(٥) الذي دون رحلة ابن بطوطة الفاسي، ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة لابن حجر، ١٦٥/٤، والإحاطة لابن الخطيب: ٢٥٦/٢، والأعلام للزركلي: ٣٧/٧.

(٦) ينظر: ترجمته في: الإحاطة لابن الخطيب: ٣٩٢/٣، ونفح الطيب للمقري: ٥٤/٨.

المبحث الثاني:

توجيه المتشابه اللفظي (سورة إبراهيم أنموذجًا)

المطلب الأول:

توجيه المتشابه اللفظي

مدخل:

ذكر علماء اللغة أن المتشابه يطلق في اللغة على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضها بعضاً، وعلى ما يلتبس من الأمور[١]، يقول المناوي (ت١٠٣١) (المتشابه: المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل)[٢].

أما متشابه القرآن حين يطلق فإنه يطلق على نوعين:

الأول: المتشابه المعنوي، وهو يقابل المحكم، وقد دار حول هذا النوع جدل كبير بين العلماء لتحديد المراد منه في القرآن الكريم، وهو ليس مجال بحثي هذا، وخلاصة ذلك أن المراد به الغامض المشكل مما استأثر الله سبحانه بعلمه كعلم المغيبات، وعلم الساعة، أو أنه مما التبس فهم المراد منه، من حيث خرج ظاهره عن دلالته على المراد به، لشيء يرجع إلى اللغة، أو العقل أو غير ذلك [٣]، وقد تناوله الزركشي في البرهان، في النوع السادس والثلاثين (معرفة المحكم من المتشابه)، كما بحثه السيوطي في الإتقان، وكذلك في معترك الأقران، وكذلك كتاب التحبير[٤]، وأبرز

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٥٠٣/١٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤف المناوي: ص٦٣٣.

(٣) ينظر: متشابه القرآن دراسة موضوعية للدكتور عدنان زرزور: ص١٥-٥٣.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان) ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧ م: ١١٣/١، والإتقان في علوم القرآن: ٢/٢، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٠٣/١، والتحبير في علم التفسير: ص١٠١.

كتب هذا النوع: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وحقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ).

أما **النوع الثاني** وهو مجال البحث هذا، فهو **المتشابه اللفظي**، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديماً وتأخيراً، وذكراً وحذفاً، وتعريفاً وتنكيراً، وإفراداً وجمعاً، وإيجازاً وإطناباً، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا من آتاه الله علماً وفهماً لأسرار كتابه، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه.

يقول الزركشي: (هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طُرق ذلك)[1]، ومراده بالقصة: الأمر والموضوع مطلقاً، سواء ورد الاختلاف في أثناء القصة القرآنية، أو غيرها، وهذا النوع ألّف فيه العلماء مؤلفات كثيرة جداً، من ذلك (متشابه القرآن) لعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٧هـ)، و(حل الآيات المتشابهة) لمحمد بن الحسن بن فورك (ت٤٠٦هـ)، و(هداية المرتاب) لعلي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ)، وهذه الكتب مع غيرها أشبه ما تكون بمعاجم لجمع الآيات المتشابهة من غير توضيح العلل والأسباب لذلك الاختلاف بين الآيات.

ويستثنى من الكتب التي ألفت خمسة كتب اعتنت بتعليل الآيات المتشابهة في ألفاظها، وهي:

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/١١٣.

أولاً: كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، ويعد بحق أهم كتب هذا الفن، وهو أول من فتح أبواب هذا العلم.

ثانياً: (البرهان في متشابه القرآن) لمحمد بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ)، وهو مطبوع بعدة تحقيقات من أفضلها تحقيق: أحمد خلف، وقد اعتمد الكرماني على كتاب الإسكافي كثيراً، كما اختصر وأوجز مواضع كثيرة منه.

ثالثاً: (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) لابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) وهو أوسع الكتب وأبسطها.

رابعاً: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ)، وقد اعتمد ابن جماعة على كتاب الكرماني، كما أفاد من ابن الزبير.

خامساً: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) لأبي يحي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، وقد اختصر ما ذكره الكرماني[١].

المطلب الثاني

تعريف المتشابه اللفظي وموقف ابن جزي الغرناطي منه

أ- تعريف المتشابه اللفظي لغةً واصطلاحاً:

الشبه في اللغة: (الشِّبه، والشَّبَه، والشَّبيه المثل، والجمع: أشباه، وأشبهُ الشيءَ الشيء: ماثله، والمشتبِهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات، والتشبيه: التمثيل، ومتشابها يشبه بعضه بعضاً في الجودة والحسن)[٢].

اصطلاحاً: عرفه الزركشي بقوله: (هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمة التصرف في الكلام، وإتيانه

(١) ينظر: كتاب متشابه القرآن دراسة موضوعية، ومقدمة تحقيق كتاب كشف المعاني لابن جماعة: ص٥٩-٦٢، ومقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل:٤٩-٥٢.

(٢) لسان العرب: «شبه»: ٢٤/٧.

على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا[١]، فيكون المراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة تقديماً وتأخيرا، وذكراً وحذفا وتعريفاً وتنكيرا، وإفراداً وجمعا، وإيجازاً وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره لا يدركه إلا من آتاه الله علماً وفهما لأسرار كتابه، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه [٢].

ب- موقف ابن جزي الغرناطي من المتشابه اللفظي:

اعتنى ابن جزي في تفسيره بالمتشابه اللفظي، فضمن تفسيره العديد من الفوائد والنكات المتعلقة بالآيات المتشابهة التي تبرز هذا النوع من إعجاز القرآن، وهو اختيار اللفظ المناسب في الموضع المناسب والتنويع في الألفاظ مع اتحاد الموضوع لاختلاف السياق أو السورة، ومن خلال ما تطرق إليه ابن جزي يظهر لنا بجلاء مدى تأثره بشيخه ابن الزبير، وأخذ عن كتاب الخطيب الإسكافي وأجاد بفوائد من بنات فكره، وعلى كل حال فإن تفسير ابن جزي قد زخر بجملة من هذا النوع من علوم القرآن، واهتم به اهتماما حتى أصبح من جملة السمات التي يتصف بها هذا التفسير [٣].

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/١١٣.

(٢) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: ص: ٤ للشتري.

(٣) علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي وأثرها في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل: طارق بن احمد بن علي الفارس، أد: سليمان الصادق سليمان البيرة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ص٣٠٢.

سورة إبراهيم: حذف إثبات الحروف:

المسألة الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾[١]، لِمَ قال هنا: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بالواو، وقال في سورة البقرة ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[٢] بغير واو؟

توجيه ابن جزي: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، ذكر هنا بالواو، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعم من ذلك ثم جر الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال، وذكر في البقرة بغير واو تفسير للعذاب[٣].

الموافقون: وافق رأي الإمام ابن جزي في توجيهه هذا جماعة من المفسرين ومنهم الثعلبي[٤]، وابن عطية الأندلسي[٥]، وفخر الدين الرازي[٦]، وأبو حيان الأندلسي[٧]، وسراج الدين النعماني[٨].

المخالفون: ذهب المخالفون لابن جزي في توجيه المسألة إلى أقوال عدة، منها:

الأول: قول الزمخشري: فإن قلت: في سورة البقرة: «يُذَبِّحُونَ»، وفي الأعراف: «يُقَتِّلُونَ»، وهاهنا وَيُذَبِّحُونَ مع الواو، فما الفرق؟ قلت: الفرق أنّ التذبيح حيث طرح

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٤٩.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٨/١.

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣٠٦/٥.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢٥/٣.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦٦/١٩.

(٧) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤١٠/٦.

(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٢/١١.

الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح؛ لأنه أو في على، جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر(١)، ووافقه بهذا القول البيضاوي في أحد أقواله(٢)، والنسفي(٣).

الثاني: قول البيضاوي: «وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ» أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ها هنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف؛ لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ها هنا، وهو إما جنس العذاب أو استعبادهم أو استعمالهم بالأعمال الشاقة. وَفِي ذلِكُمْ من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم فيه. «بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ» ابتلاء منه، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمراد بالبلاء النعمة(٤).

الثالث: قال ابن الزبير الغرناطي: الآية الحادية عشرة من سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ الآية. وفى سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، فالقضية في السورتين واحدة وقد ورد في سورة البقرة: «نجّيناكم» مضعفا وفى الأعراف: «أنجيناكم» غير مضاعف، وفى سورة البقرة: «يذبحون» وفي سورة الأعراف: «يقتلون»، وقد ورد في سورة إبراهيم: «يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ» منسوقاً بحرف العطف، ففي هذه الآية ثلاث سؤالات تعرض منها صاحب كتاب الدرة للفرق بين «يذبحون»، وقوله تعالى في سورة إبراهيم: «ويذبحون»، وأغفل ما سوى ذلك.

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/٥٤٠-٥٤١.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/١٩٣.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/١٦٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/١٩٣.

والجواب عن الأول: إنَّ الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه الإنعام على بنى إسرائيل وتوالى الامتنان ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر ولنقدم[١]، لذلك تمهيداً فنقول: أنه تعالى بدأ عباده بالنعم وأحسن إليهم قبل إيجادهم حين ذكرهم في الأزل بخصوص التكريم وسبقت رحمته غضبه وله المن والطول وعلى لحظ ما ذكرنا ورعيه جرى خطاب الخلق في دعائهم إلى عبادته فقال تعالى في أول وارد من ذلك في كتابه العزيز على المعتمد من مقتضى الترتيب الثابت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾، إلى قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، فذكرهم سبحانه بإيجادهم بعد العدم وجعله الأرض فراشا لهم والسماء بناء وإنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به وكل هذا إنعام وإحسان منه لعباده من غير حاجة به إلى ذلك فدعا سبحانه الخلق لعبادته مذكراً بإنعامه عليهم وبهذا أمر رسله فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾، أي: بآلائه ونعمائه وعلى هذا جرى خطاب بنى إسرائيل في سورة البقرة في أول خطاب خوطبوا به ودعوا إلى عبادة الله وتصديق من قدم لهم في أمره وأخذ عليهم العهد في الإيمان به فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

فأجمل تعالى ثم فصل فذكر نجاتهم من آل فرعون وفرق البحر بهم ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق ثم ذكر عفوه عنهم في عبادة العجل وتوبته عليهم وبعثهم من موتهم عند طلبهم الرؤيا، وتظليلهم بالغمام إلى ما ذكر تعالى بعد هذا.

فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة ولو قيل هنا «وإذ أنجيناكم» لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضا فإن التضعيف في: «نجيناكم» يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله:

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٣٣/١.

«يذبحون»، ولم يكن لفظ «أنجيناكم» غير مضاعف ليناسب.

والجواب عن السؤال الثاني: والله أعلم أن الذبح منبئ عن القتل وصفته وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب فعبر أولا بما يوفى المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع الصفة لما كان إيجازا، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل: «يذبحون»، وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف، إذ لفظ «يذبحون» أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة فأحرز الإيجاز في الكل وجاء على ما يجب ويناسب والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث: وهو قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ[1] نِسَآءَكُمْ﴾ منسوقاً بواو العطف، فوجه ذلك والله أعلم أن هذه السورة مبنية على الإجمال والإيجاز فيما تضمنته من قصص الرسل وغير ذلك، ولم يقصد فيها بسط قصة كما ورد في غيرها مما بنى على الاستيفاء وكلا المرتكبين مقصود معتمد عند العرب: يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء، وعلى هذا جرى خطابهم في الكتاب العزيز.

وتأمل المقصدين فقد ورد في سورة الأعراف وسورة هود قصص نوح وهود وصالح ولوط وموسى عليهم السلام فتأمل ما بين ورود هذه القصص الخمس في هاتين السورتين وورودها خمستها في سورة القمر، وكيف مدت أطناب الكلام في السورتين الأوليين ثم أوجزت في سورة القمر أبلغ إيجاز وأوفاه بالمقصود، فلما كان مبنى سورة إبراهيم عليه السلام على الإيجاز فيما تضمنت من هذه القصص افتتاحا واختتاما لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٣٤/١.

أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، وما بعد هذه من الآي، وأنه انضم في هذه السورة إلى قصد الإيجاز تغليظ الوعيد فلبنائها على هذين الغرضين، وورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾، فأشار قوله سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم واستحياء نسائهم لذلك وذبح الذكور فلما وقعت الإشارة إلى هذه الجملة مما كانوا يمتحنونهم به جرد منها وعين بالذكر أشدها واعظمها امتحانا فجئ به معطوفا كما أنه مغاير لما تقدمه فقيل: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾، فعين من الجملة هذا وخص بالذكر تعريفا بمكانة وشدة الأمر فيه، وهو مما أجمل أولا وشمله الكلام المتقدم.

كما ورد في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾، ثم قال: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾، فخصهما بالذكر والتعيين إعلاما بمكانهما في الملائكة بعد أن شملهم قوله تعالى: ﴿وملائكته﴾، فالوارد في سورة إبراهيم من هذه القبيل وقد تبين وجهه واتضحت مناسبته والله أعلم بما أراد.

وأما إعراب آية البقرة فيمكن في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ أن يحمل على البدل وعلى الاستئناف –وهو الأولى–، وكأن قد قيل وما ذاك؟ فقيل: يذبحون أبنائكم ولا إشكال في الأخرى(١).

الرابع: قال أبو السعود: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ المولودين، وإنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد وإنما فعلوا ذلك؛ لأن فرعونَ رأى في المنام أو قال له الكهنةُ أنه سيولد منهم مَنْ يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلن يُغن عنهم من قضاء الله شيئاً (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ) أي يُبقونهن في الحياة مع الذل والصَّغار

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٣٥/١.

ولذلك عد من جملة البلاء والجملُ أحوالٌ من آلِ فرعونَ أو من ضمير المخاطبين أو منهما جميعاً لأن فيها ضميرَ كلَ منهما(١).

الخامس: قال ابن عاشور: أن هذه الآية عطفت فيها جملة «ويذبحون» على جملة «يسومونكم»، وفي آية البقرة والأعراف جعلت جملة «يذبحون» وجملة «يقتلون» بدون عطف على أنها بدل اشتمال من جملة «يسومونكم سوء العذاب»(٢)، فكان مضمون جملة «ويذبحون» هنا مقصودا بالعد، كأنه صنف آخر غير سوء العذاب اهتماما بشأنه، فعطفه من عطف الخاص على العام. وعلى كلا النظمين قد حصل الاهتمام بهذا العذاب المخصوص بالذكر، فالقرآن حكى مراد كلام موسى عليه السلام من ذكر العذاب الأعم وذكر الأخص للاهتمام به، وهو حاصل على كلا النظمين.

وإنما حكاه القرآن في كل موضع بطريقة تفننا في إعادة القصة بحصول اختلاف في صورة النظم مع الحفاظ على المعنى المحكي، وهو ذكر سوء العذاب مجملا، وذكر أفظع أنواعه مبينا.

وأما عطف جملة «وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ» في الآيات الثلاث؛ فلأن مضمونها باستقلاله لا يصلح لبيان سوء العذاب؛ لأن استحياء النساء في ذاته نعمة ولكنه يصير من العذاب عند اقترانه بتذبيح الأبناء، إذ يعلم أن مقصودهم من استحياء النساء استرقاقهن وإهانتهن فصار الاستحياء بذلك القصد تهيئة لتعذيبهن. ولذلك سمي جميع ذلك بلاء.

وأصل البلاء: الاختبار، والبلاء هنا المصيبة بالشر، سمي باسم الاختبار؛ لأنه اختبار لمقدار الصبر، فالبلاء مستعمل في شدة المكروه من تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه على طريقة المجاز المرسل. وقد شاع إطلاق هذا بصيغة اسم المصدر

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣٤/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩١/١٣.

بحيث يكاد لا يطلق إلا على المكروه. وما ورد منه مستعملا في الخير فإنما ورد بصيغة الفعل كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [سورة الأنبياء:٣٥]، وقوله: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣١] وتقدم في نظيرها من سورة البقرة.

وجعل هذا الضر الذي لحقهم واردا من جانب الله؛ لأن تخلية آل فرعون لفعل ذلك وعدم إلطافه ببني إسرائيل يجعله كالوارد من الله، وهو جزاء على نبذ بني إسرائيل دينهم الحق الذي أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب عليهم السلام واتباعهم دين القبط وعبادة آلهتهم.

واختيار وصف الرب هنا للإيماء إلى أنه أراد به صلاح مستقبلهم وتنبيههم لاجتناب عبادة الأوثان وتحريف الدين كقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [سورة الإسراء: ٨][(١)].

المناقشة والترجيح:

الذي يظهر لي مما سبق من الأقوال والتوجيهات أن جميعها حسنة ومقبولة، إلا أن قول ابن جزي ومن وافقه هو أرجح الأقوال، للمرجح التالي: إن قوله تعالى في سورة البقرة «يذبحون» بغير واو؛ لأنه تفسير لقوله: سوء العذاب، وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول: أتاني القوم زيد وعمرو، لأنك أردت أن تفسر القوم بهما ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾[(٢)]، فالإثم لما صار مفسرا بمضاعفة العذاب لا جرم حذف عنه الواو، أما في هذه السورة فقد أدخل الواو فيه، لأن المعنى أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله: «ويذبحون» نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير لما قبله[(٣)]، وأن القاعدة الترجيحية تقول: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك). والله أعلم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٢/١٣.

(٢) سورة الفرقان: من الآية: ٦٨-٦٩.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦٦/١٩.

المسألة الثانية: تكرار:

قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾[1]، لم كرر الأمر في قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؟

توجيه ابن جزي: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، والمعنى أي شيء يمنعنا من التوكل على الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل لم كرر الأمر؟ فالجواب عندي أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسلطان مبين، أي: حجة ظاهره، فتوكل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فهو راجع إلى قولهم: ولنصبرن على ما آذيتمونا أي: نتوكل على الله في دفع أذاكم. وقال الزمخشري: إن هذا الثاني في معنى الثبوت على التوكل[2].

الموافقون: وافق رأي الإمام ابن جزي في توجيهه هذا جماعة من المفسرين ومنهم ابن عجيبة في قول له[3]. وقد رد ابن عجيبة على هذا القول فقال: وهو حسن، لكن التعبير بالمتوكلين يقتضي أن التوكل حاصل، والمطلوب الدوام عليه[4].

المخالفون: ذهب المخالفون لابن جزي في هذه المسألة إلى أقوال عدة، منها:

القول الأول: قال الزمخشري: فإن قلت: كيف كرّر الأمر بالتوكل؟ قلت: الأول لاستحداث التوكل، وقوله ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، معناه فليثبت المتوكلون على ما

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: ١١-١٢.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٩/١-٤١٠.

(٣) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٤٩/٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدّم[١]، ووافقه بهذا القول الرازي في قول له[٢]، والخازن في قول له[٣].

القول الثاني: قال فخر الدين الرازي: ثم أعادوا قولهم: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، والفائدة فيه أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله في قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ثم لما فرغوا من أنفسهم أمروا أتباعهم بذلك وقالوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ وذلك يدل على أن الآمر بالخير لا يؤثر قوله إلا إذا أتى بذلك الخير أولا، ورأيت في كلام الشيخ أبي حامد الغزالي رحمه الله فصلا حسنا وحاصله: أن الإنسان إما أن يكون ناقصا أو كاملا أو خاليا عن الوصفين، أما الناقص فإما أن يكون ناقصا في ذاته ولكنه لا يسعى في تنقيص حال غيره، وإما أن يكون ناقصا ويكون مع ذلك ساعيا في تنقيص حال الغير، فالأول: هو الضال، والثاني: هو الضال المضل، وأما الكامل فإما أن يكون كاملا ولا يقدر على تكميل الغير وهم الأولياء، وإما أن يكون كاملا ويقدر على تكميل الناقصين وهم الأنبياء ولذلك قال عليه السلام: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٤].

القول الثالث: قال النسفي: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله[٥]: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، ﴿وَمَا

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٤٤/٢.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٦/١٩.
(٣) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣١/٣.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٥/١٩.
(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٦٥/٢.

لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، معناه: وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين(١).

القول الرابع: قال أبو حيان الأندلسي: فليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل، وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم، وما يجري علينا منكم. ألا ترى إلى قولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ومعناه: وأي عذر لنا في ألا نتوكل على الله وقد هدانا، فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين. والأمر الأول وهو قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لاستحداث التوكل، والثاني للثبات على ما استحدثوا من توكيلهم(٢).

القول الخامس: سراج الدين النعماني، وله قولان:

الأول: والمراد بهذا التوكل على الله في دفع شر الكفار فلا يلزم التكرار.

الثاني: وقيل: الأول لاستحداث التوكل، والثاني طلب دوامه(٣).

القول السادس: النيسابوري، وله قولان:

الأول: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، قال علماء المعاني: الأول لاستحداث التوكل، والثاني للسعي في إبقائه وإدامته.

الثاني: وقيل معنى الأول أن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا، فإن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها. ومعنى الثاني إبداء

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٦٥/٢-١٦٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤١٦/٦.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٥٤/١١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم(١).

القول السابع: قال ابن عاشور: وجملة ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾، يحتمل أن تكون من بقية كلام الرسل فتكون تذييلا وتأكيدا لجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، فكانت تذييلا لما فيها من العموم الزائد في قوله: المتوكلون على عموم فليتوكل المؤمنون. وكانت تأكيدا؛ لأن المؤمنين من جملة المتوكلين. والمعنى: من كان متوكلا في أمره على غيره فليتوكل على الله. ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، فهي تذييل للقصة وتنويه بشأن المتوكلين على الله، أي لا ينبني التوكل إلا عليه(٢).

القول الثامن: قال ابن عجيبة في أحد أقواله: وقد يقال: إنما عبَّر ثانيا بفظ المتوكلين كراهية إعادة اللفظ بعينه، أي: من كان متوكلاً على الله فإنه الحقيق بذلك. وقال في القوت: أي: ليتوكل عليه في كل شيء مَنْ توكل عليه في شيء. وهذا أحسن وجوهه.

والوجه الآخر: وعليه فليتوكّل، في توكله مَنْ توكل عليه في الأشياء لأن الوكيل في كل شيء واحد، فينبغي أن يكون التوكل في كل شيء واحد.(٣).

القول التاسع: أبو الطيب القِنَّوجي، وله قولان:

الأول: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، قيل المراد بالتوكل الأول استحداثه وإنشاؤه، وبهذا السعي في بقائه وثبوته فالتوكلان مختلفان.

الثاني: وقيل معنى الأول إن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله سبحانه لا علينا، فإن شاء سبحانه أظهرها وإن شاء لم يظهرها. ومعنى الثاني إبداء التوكل **على** الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم(٤).

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٨٢/٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٤/١٣.

(٣) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٤٩/٣.

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٩٤/٧-٩٥.

المناقشة والترجيح:

الذي يظهر لي والله أعلم أن جميع الأقوال من القيمة بمكان، وذلك لاعتبارات عدة منها:

١- أنه تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة، حكى عن الأنبياء عليهم السلام جوابهم عنها، أما **الشبهة الأولى:** وهي قولهم: إن أنتم إلا بشر مثلنا فجوابه: أن الأنبياء سلموا أن الأمر كذلك، لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده، فإذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة.

واعلم أن هذا المقام فيه بحث شريف دقيق، وهو أن جماعة من حكماء الإسلام قالوا: إن الإنسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة علوية قدسية، فإنه يمتنع عقلا حصول صفة النبوة له. وأما الظاهريون من أهل السنة والجماعة، فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى يهبها لكل من يشاء من عباده، ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية، وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية، فإنه تعالى بين أن حصول النبوة ليس إلا بمحض المنة من الله تعالى والعطية منه، والكلام من هذا الباب غامض غائص دقيق، والأولون أجابوا عنه بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسدانية تواضعا منهم، واقتصروا على قولهم: ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة، لأنه قد علم أنه تعالى لا يخصهم بتلك الكرامات إلا وهم موصوفون بالفضائل التي لأجلها استوجبوا ذلك التخصيص، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

٢- أما **الشبهة الثانية:** وهي قولهم: إطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقا، لأنه يبعد أن يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق العظيم، فجوابه: عين

الجواب المذكور عن الشبهة الأولى، لأن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه، ولا يبعد أن يخص بعض عبيده بهذه العطية وأن يحرم الجمع العظيم منها.

٣- وأما **الشبهة الثالثة:** وهي قولهم: إنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيتم بها، وإنما نريد معجزات قاهرة قوية، فالجواب عنها: قوله تعالى: وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وشرح هذا الجواب أن[١]، المعجزة التي جئنا بها وتمسكنا بها حجة قاطعة وبينة قاهرة ودليل تام، فأما الأشياء التي طلبتموها فهي أمور زائدة والحكم فيها لله تعالى فإن خلقها وأظهرها فله الفضل وإن لم يخلقها فله العدل ولا يحكم عليه بعد ظهور قدر الكفاية. ثم إنه تعالى حكى عن الأنبياء والرسل عليهم السلام أنهم قالوا بعد ذلك: وعلى الله فليتوكل المؤمنون والظاهر أن الأنبياء لما أجابوا عن شبهاتهم بذلك الجواب فالقوم أخذوا في السفاهة والتخويف والوعيد، وعند هذا قالت الأنبياء عليهم السلام: لا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت إلى تهديدكم فإن توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله ولعل الله سبحانه كان قد أوحى إليهم أن أولئك الكفرة لا يقدرون على إيصال الشر والآفة إليهم وإن لم يكن حصل هذا الوحي، فلا يبعد منهم أن لا يلتفتوا إلى سفاهتهم لما أن أرواحهم كانت مشرقة بالمعارف الإلهية مشرقة بأضواء عالم الغيب والروح متى كانت موصوفة بهذه الصفات فقلما يبالي بالأحوال الجسمانية وقلما يقيم لها وزنا في حالتي السراء والضراء وطوري الشدة والرخاء، فلهذا السبب توكلوا على الله وعولوا على فضل الله وقطعوا أطماعهم عما سوى الله، والذي يدل على أن المراد ما ذكرناه قوله تعالى حكاية عنهم: وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا يعني أنه تعالى لما خصنا بهذه الدرجات الروحانية، والمعارف الإلهية

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٤/١٩.

الربانية فكيف يليق بنا أن لا نتوكل على الله، بل اللائق بنا أن لا نتوكل إلا عليه ولا نعول في تحصيل المهمات إلا عليه، فإن من فاز بشرف العبودية ووصل إلى مكان الإخلاص والمكاشفة يقبح به أن يرجع في أمر من الأمور إلى غير الحق سواء كان ملكا له أو ملكا أو روحا أو جسما، وهذه الآية دالة على أنه تعالى يعصم أولياءه المخلصين في عبوديته من كيد أعدائهم ومكرهم، ثم قالوا: ولنصبرن على ما آذيتمونا فإن الصبر مفتاح الفرج، ومطلع الخيرات، والحق لا بد وأن يصير غالبا قاهرا، والباطل لا بد وأن يصير مغلوبا مقهورا.

٤- ثم أعادوا قولهم: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، والفائدة فيه أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله في قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ثم لما فرغوا من أنفسهم أمروا أتباعهم بذلك وقالوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، وذلك يدل على أن الآمر بالخير لا يؤثر قوله إلا إذا أتى بذلك الخير أولا، ورأيت في كلام الشيخ أبي حامد الغزالي رحمه الله فصلا حسنا وحاصله: أن الإنسان إما أن يكون ناقصا أو كاملا أو خاليا عن الوصفين، أما الناقص فإما أن يكون ناقصا في ذاته ولكنه لا يسعى في تنقيص حال غيره، وإما أن يكون ناقصا ويكون مع ذلك ساعيا في تنقيص حال الغير، فالأول: هو الضال، والثاني: هو الضال المضل، وأما الكامل فإما أن يكون كاملا ولا يقدر على تكميل الغير وهم الأولياء، وإما أن يكون كاملا ويقدر على تكميل الناقصين وهم الأنبياء ولذلك قال عليه السلام: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)، ولما كانت مراتب النقصان والكمال ومراتب الإكمال والإضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية، لا جرم كانت مراتب الولاية والحياة غير متناهية بحسب الكمال والنقصان، فالولي هو الإنسان الكامل الذي لا يقوى على التكميل، والنبي هو الإنسان الكامل المكمل، ثم قد تكون قوته الروحانية النفسانية وافية بتكميل إنسانين ناقصين وقد تكون أقوى من ذلك فيفي بتكميل عشرة ومائة وقد تكون تلك القوة قاهرة قوية تؤثر تأثير

الشمس في العالم فيقلب أرواح أكثر أهل العلم من مقام الجهل إلى مقام المعرفة ومن طلب الدنيا إلى طلب الآخرة، وذلك مثل روح محمد صلى الله عليه وسلم، فإن وقت ظهوره كان العالم مملوءا من اليهود وأكثرهم كانوا مشبهة ومن النصارى وهم حلولية ومن المجوس وقبح مذاهبهم ظاهر ومن عبدة الأوثان وسخف دينهم أظهر من أن يحتاج إلى بيان فلما ظهرت دعوة محمد ﷺ سرت قوة روحه في الأرواح فقلب أكثر أهل العالم من الشرك إلى التوحيد، ومن التجسيم إلى، التنزيه، ومن الاستغراق في طلب الدنيا إلى التوجه إلى عالم الآخرة، فمن هذا المقام ينكشف للإنسان مقام النبوة والرسالة(١).

٥- فمن خلال ما تقدم نقول أن قوله تعالى: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾، إشارة إلى ما كانت حاصلة لهم من كمالات نفوسهم، وقولهم في آخر الأمر، وعلى الله فليتوكل المتوكلون، إشارة إلى تأثير أرواحهم الكاملة في تكميل الأرواح الناقصة فهذه أسرار عالية مخزونة في ألفاظ القرآن، فمن نظر في علم القرآن وكان غافلا عنها كان محروما من أسرار علوم القرآن والله أعلم، وفي الآية وجه آخر وهو أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، المراد منه أن الذين يطلبون سائر المعجزات وجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله تعالى لا عليها، فإن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها، وأما قوله في آخر الآية: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، المراد منه الأمر بالتوكل على الله في دفع شر الناس الكفار وسفاهتهم، وعلى هذا التقدير فالتكرار غير حاصل لأن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ﴾ وارد في موضعين مختلفين بحسب مقصودين متغايرين(٢).

٦- الظاهر أنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما أجابوا عن شبهاتهم بهذا

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٥/١٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٦/١٩.

الجواب أخذ القوم التَّخويف، والوعيد فعند ذلك قال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا نخاف من تخويفكم بعد أن تولكنا على الله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، والمعنى: ما لنا ألا نتوكل على الله، وقد عرفنا أنه لا ينال شيء إلا بقضائه وقدره: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا﴾، بين لنا الرشد وبصرنا النجاة، فالمراد بهذا التوكل على الله في دفع شر الكفار فلا يلزم التكرار، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: تقديم وتأخير:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧﴾[1]. هلا قال: مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟

توجيه ابن جزي: معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾، يعني وعد النصر على الكفار. فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال: رسله، ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص[2].

(١) ينظر: سورة إبراهيم: الآية ٤٧.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٤١٣-٤١٤.

الموافقون: وافق رأي الإمام ابن جزي في توجيهه هذا جماعة من المفسرين ومنهم الزمخشري(١)، والرازي(٢)، والنسفي(٣)، والبيضاوي(٤)، والنيسابوري(٥).

المخالفون: ذهب المخالفون لابن جزي في هذه المسألة إلى أقوال عدة، منها:

الأول: قال الثعلبي: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: ولا يحسبن الله مخلف رسله وعده؛ لأن الخلف يقع بالوعد. يقول الشاعر:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ... وسائر باد إلى الشمس أجمع(٦)(٧).

ووافقه في هذا القول القرطبي(٨).

الثاني: **قال الزمخشري**: فإن قلت: هلا قيل مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا لقوله: إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال: رسله، ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا، وليس من شأنه إخلاف المواعيد، كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته؟

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٦٦/٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١١١/١٩.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٨٠/٢.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٠٣/٣.

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٠٣/٤.

(٦) ينظر: المعجم المفصل في شواهد العربية: د. إميل بديع يعقوب، نشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٣٣٦/٤ البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى: ٢١٦/١؛ وخزانة الأدب: ٣٣٥/٤، وقيل هو لعثمان بن مظعون في لسان العرب: ٣٠٥/٨، ينظر: المعجم المفصل في شواهد العربية: ٢٦٨/٤.

(٧) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣٢٧/٥.

(٨) ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٢/٩.

ثم رد عليه فقال: وهو جواب على طريقة الاعتزال في أن وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا، ومذهب أهل السنة أن كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط إنفاذه بالمشيئة، وقيل: مخلف هنا متعد إلى واحد كقوله: لا يخلف الميعاد فأضيف إليه، وانتصب رسله بوعده إذ هو مصدر ينحل بحرف مصدري والفعل كأنه قال: مخلف ما وعد رسله، وما مصدرية، لا بمعنى الذي(١).

الثالث: قال سراج الدين النعماني: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾، لما بين في الآية الأولى أنه ينتصر للمظلوم من الظَّالم بين هاهنا أنه لا يخلف الوعد، قوله: ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ﴾ العامة على إضافة: مخْلِفَ إلى وعْدِهِ وفيها وجهان: أظهرهما: أن مُخْلفَ يتعدَّى لاثنين كفعله، فقدم المفعول الثاني، وأضيف إليه اسم الفاعل تخفيفاً، نحو: هذا كَاسِي جُبَّةِ زيْدٍ(٢).

الرابع: قال محمد بن عبد الرحمن الإيجي: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ من نصرهم في الدارين، أضاف إلى المفعول الثاني إيذانًا بأنه لا يخلف الوعد أصلاً(٣).

الخامس: قال ابن عاشور: أضيف مخلف إلى مفعوله الثاني وهو وعده وإن كان المفعول الأول هو الأصل في التقديم والإضافة إليه؛ لأن الاهتمام بنفي إخلاف الوعد أشد، فلذلك قدم وعده على رسله، ورسله جمع مراد به النبي ﷺ لا محالة، فهو جمع مستعمل في الواحد مجازا، وهذا تثبيت للنبي ﷺ بأن الله منجز له ما وعده من نصره على الكافرين به. فأما وعده للرسل السابقين فذلك أمر قد تحقق فلا يناسب أن يكون

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٥٦/٦.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤١٤/١١.

(٣) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢/٢.

مرادا من ظاهر جمع رسله. وجملة إن الله عزيز ذو انتقام تعليل للنهي عن حسبانه مخلف وعده.

والعزة: القدرة والمعنى: أن موجب إخلاف الوعد منتف عن الله تعالى لأن إخلاف الوعد يكون إما عن عجز وإما عن عدم اعتياد الموعود به فالعزة، تَنْفِي الْأَوَّلَ وَكَوْنُهُ صَاحِبَ انْتِقَامٍ يَنْفِي الثَّانِي. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَذْيِيلٌ أَيْضًا وَبِهَا تمّ الْكَلَام(١).

المناقشة والترجيح:

في ضوء ما تقدم من الأقوال الواردة في المسألة يظهر لي أن توجيه ابن جزي ومن وافقه قد رُد عليه بقول أبي حيان الأندلسي بقوله: وهو جواب على طريقة الاعتزال في أن وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا. ومذهب أهل السنة أن كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط إنفاذه بالمشيئة.

وأرجح الأقوال ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله؛ لأن الاهتمام بنفي إخلاف الوعد أشد، وكذلك فإن سياق الآية الكريمة بأن الخطاب موجه إلى النبي ﷺ من خلال كلمة «ورسله»، فهو جمع مراد به النبي ﷺ لا محالة، فهو جمع مستعمل في الواحد مجازا. وهذا تثبيت للنبي ﷺ بأن الله منجز له ما وعده من نصره على الكافرين به. فأما وعده للرسل السابقين فذلك أمر قد تحقق فلا يناسب أن يكون مرادا من ظاهر جمع رسله. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/٢٥١-٢٥٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (جلّ منزلةً وعلا).

١- ابن جزي ومنهجه في التفسير: (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل: علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، تحـ: محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايينٌ، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحـ: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٩- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان)، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٠- تاج العروس: مرتضى الزبيدي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١١- التحبير في علم التفسير: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٢- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

١٣- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٤- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٦- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحـ: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٦م.

١٨- طبقات المفسرين: لشمس الدين محمد بن علي الداوودي (ت٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط.، د.ت.

١٩- علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي وأثرها في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل: طارق بن احمد بن علي الفارس، أد. سليمان الصادق سليمان البيرة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم جار االله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٣- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٥- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٧- متشابه القرآن دراسة موضوعية: الدكتور عدنان زرزور، دار الفتح، بدمشق، ١٩٧٠.

٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٤٢٢ هـ.

٢٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣١- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: زيد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

٣٢- المعجم المفصل في شواهد العربية: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٣- معجم المؤلفين: رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

٣٤- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٥- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد القمري (ت١٠٤١هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

٣٧- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، ط٢، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠-١٤١٩هـ.